المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

# الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي

# The other in the biography of Saudi women from a cultural perspective

بقلم الدكتور

**سامي عبداللطيف صالح الجمعان**

أستاذ مشارك ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك فيصل
المملكة العربية السعودية

الجزء الأول (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٣/٦٩٤٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي

**سامي عبداللطيف صالح الجمعان**

**أستاذ مشارك ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك فيصل ـ المملكة العربية السعودية**

**البريد الإلكتروني : samijum@hotmail.com**

## الملخص

انطلقت الدراسة من سؤال محوري مداره موقف الكاتبة السعودية من الآخر في فن سيرتها الذاتية، من خلال تحكم الأنساق الثقافية في هذا الموقف، على اعتبار أن الذات التي تحدثت عنها صنعتها مواقف حياتية حتمية متنوعة، يأتي الآخر على رأسها، أيّا كان هذا الآخر.

تنامت هذه الفكرة من القيمة الكبيرة التي يحتلها الآخرون في حياتنا، بما يصنعونه في ذواتنا من تغيير وتأثير وتشكيل، سواء كان سلبا أو إيجابا، نجاحا أو إخفاقا، تقدما أو إحجاما، تطورا أو تقهقرا، وما إلى ذلك، وهذا كفيل بتحديد أهداف الدراسة الرئيسية، في مسار بحثها عن أثر الأنساق الثقافية المضمرة في صناعة علاقة الذات بالآخر، كهدف أول، وفي مسار بلورة الموقف العام للكاتبة السعودية من الآخر عبر ما أنجزته من سير ذاتية.

لبلوغ هذه الأهداف توجب على الباحث تأطير إشكالية دراسته، وهي بإيجاز أن الكاتبة السعودية اتخذت موقفا من الآخر بشتى صوره عملت على تسريده فيما أنجزته من سير ذاتية، وهذا الموقف لم يكن بريئا من أثر الأنساق الثقافية المضمرة الراسخة في بيئتها الاجتماعية والثقافية السعودية، الضامر الذي يفتح تساؤلات لدراسة على النحو الآتي: ما الموقف الذي اتخذته الكاتبة السعودية من الآخر؟، ثم ما أثر أنساق الثقافة المضمرة في صياغة هذا الموقف؟، وفي المقابل ما موقف الآخر منها؟، وهذا ما دفع

بالباحث إلى اعتماد نظرية النقد الثقافي لتكون مسلكا منهجيا للدراسة.

لذا عملنا أولا على تحديد مدونة الدراسة على ما توفر من سير ذاتية سعودية منشورة، متوخين بلوغ النتائج المتوقعة التالية: أن الكاتبات السعوديات اتخذن موقفا من الآخر أثرت فيه الأنساق الثقافية المضمرة، بقوتها وفاعليتها على فكر وسلوك الكاتبات بثقافتهن ووعيهن، وأن الآخر بشتى صوره وأنماطه حدد موقفه من السعوديات بوصفهن سيدات، مستمدا هذا الموقف من الوضعية الاجتماعية والثقافية السعودية عامة.

**الكلمات المفتاحية**: السيرالذاتية السعودية، الآخر، الكاتبة السعودية، النقد الثقافي، الأنساق الثقافية، فن السيرة الذاتية .

# The other in the biography of Saudi women from a cultural perspective

**sami Abd al-Latif Saleh al-gamaan**

Associate Professor - Department of Arabic Language - College of Arts - King Faisal University, Kingdom Saudi Arabia .

**Email:** samijum@hotmail.com

**Abstract**

**The study started from a pivotal question revolving around the position of the Saudi writer towards the other in the art of her autobiography, through the control of cultural patterns in this position, given that the self that she spoke about was created by various inevitable life situations, the other comes on top of it, whoever this other is.**

**This idea grew out of the great value that others occupy in our lives, with what they make in our selves of change, influence and shaping, whether it is negative or positive, success or failure, progress or reluctance, development or retreat, etc., and this is enough to define the main objectives of the study, In the course of her research on the impact of implicit cultural systems in creating the self-relationship with the other, as a first goal, and in the course of crystallizing the general position of the Saudi writer towards the other through her autobiographies.**

**In order to achieve these goals, the researcher had to frame the problematic of his study, which is briefly that the Saudi writer took a position on the other in all its forms and worked to narrate it in her autobiographies. The questions of the study are as follows: What is the position taken by the Saudi writer on the other? Then, what is the impact of implicit cultural patterns in formulating this position? And, on the other hand, what is the impact of the other on it? .**

**Therefore, we worked first to define the blog of the study on the availability of published Saudi biographies, aspiring to achieve the following expected results: that the Saudi women writers took a position on the other in which the implicit cultural systems, with their strength and effectiveness,**

**influenced the thought and behavior of the female writers with their culture and awareness, and that the other in its various forms and patterns determined His position on Saudi women as women, deriving this position from the Saudi social and cultural situation in general.**

**Keywords: Saudi autobiographies, the other, the Saudi writer, cultural criticism, cultural formats, autobiographical art.**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة:

تنطلق هذه الدراسة من سؤال محوري مداره موقف الكاتبة السعودية من الآخر في فن سيرتها الذاتية، من خلال تحكم الأنساق الثقافية في هذا الموقف، على اعتبار أن الذات التي تحدثت عنها صنعتها مواقف حياتية حتمية متنوعة، يأتي الآخر على رأسها، أيّا كان هذا الآخر.

تنامت هذه الفكرة من القيمة الكبيرة التي يحتلها الآخرون في حياتنا، بما يصنعونه في ذواتنا من تغيير وتأثير وتشكيل، سواء كان سلبا أو إيجابا، نجاحا أو إخفاقا، تقدما أو إحجاما، تطورا أو تقهقرا، وما إلى ذلك، وهذا كفيل بتحديد أهداف الدراسة الرئيسية، في مسار بحثها عن أثر الأنساق الثقافية المضمرة في صناعة علاقة الذات بالآخر، كهدف أول، وفي مسار بلورة الموقف العام للكاتبة السعودية من الآخر عبر ما أنجزته من سير ذاتية.

لبلوغ هذه الأهداف توجب على الباحث تأطير إشكالية دراسته، وهي بإيجاز أن الكاتبة السعودية اتخذت موقفا من الآخر بشتى صوره عملت على تسريده فيما أنجزته من سير ذاتية، وهذا الموقف لم يكن بريئا من أثر الأنساق الثقافية المضمرة الراسخة في بيئتها الاجتماعية والثقافية السعودية، الأمر الذي يفتح تساؤلات الدراسة على النحو الآتي:

- ما الموقف الذي اتخذته الكاتبة السعودية من الآخر؟.
- ما أثر أنساق الثقافة المضمرة في صياغة هذا الموقف؟.
- هل اتضح تأثير الآخر على الكاتبة السعودية من خلال أدب السيرة الذاتية؟

ــ هل برزت في هذه العلاقة بين الذات والآخر أنساق بعينها، بينما توارت أنساق أخرى؟

ــ هل أفصحت الكاتبة السعودية في بعض مواطن نصوص سيرتها الذاتية عن قوة تأثير الآخر أم سعت لإخفاء هذه العلاقة وأثرها الإيجابي؟

كشفت لنا إشكالية الدراسة وأهدافها وتساؤلاتها عن أهمية الدراسة، التي يمكن التعبير عنها بطموح الدراسة في إضافة علمية معرفية تختص بهذا الحقل الإبداعي وهو السيرة الذاتية ولكن من خلال الكاتبة السعودية، حين أحاطت بها ظروف حياتية ضاغطة تجعل الكشف عن مواقفها من الآخر مثار دهشة وترقب، فضلا عن طرافة معرفة الشكل الذي سردت به الآخر وعبرت عنه موقفها منه، وهو السيرة الذاتية وهنا نعود إلى توافق فن السيرة الذاتية خاصة مع جنس الأنثى، حيث " أن الكتابة النسوية تستند إلى تجربة حقيقية أو فعلية، أي أنها تستند إلى المأثور والمحكي، فذلك قابل للزوغان والمراوغة والاحتيال ومن ثم الاندساس في الوعي النسوي، ولابد بعد ذلك من تجربة أصيلة وحقيقة، تنتمي إليها المرأة، هذا يعني السيرة الذاتية ليست غريبة عن هذه الكتابة"[1]، وهذا يقودنا للأهداف التي يمكن للدراسة توخي بلوغها، وهي على النحو التالي:

١ــ تحديد الأنساق الثقافية المضمرة ذات القوة الكامنة التي تشكل علاقة الذات بالآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية.

---

**(١) محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي ــ الكتابة العربية في عالم متغير واقعها سياقاتها وبناها الشعورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٧٨.**

٢ــ معرفة الكيفيات التي عبّرت الكاتبة السعودية من خلالها في أدب السيرة الذاتية عن وتيرة علاقتها بالآخر.

٣ــ الكشف عن ذلك الأثر الذي يتركه الآخر في حياة الذات الممثلة للكاتبة السعودية.

لزم ذلك الطموح معرفة أبرز الدراسات التي أنجزها الباحثون في هذا السياق المعرفي الدائر حول السيرة الذاتية السعودية، فوقفنا على مايلي:

ــ في عام ١٩٩٦م أنجز عبدالله الحيدري رسالة ماجستير تحت عنوان: **السيرة الذاتية في الأدب السعودي**، ومن بعده أنجزت عائشة حكمي عام ١٩٩٧م دراسة عنوانها: **السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية في مرحلة الطفرة من عام (١٣٩٠هـ ــ ١٤١٨ه)**، ليقدم منصور المهوِّس دراسته: **البناء الفني للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث (١٣٥٢هـ ــ ١٤١٨هـ)** وذلك عام ٢٠٠١م، ليشهد عام ٢٠٠٤م عودة عائشة الحكمي لتنشر دراستها: **تعالق الرواية مع السيرة الذاتية، الإبداع السردي السعودي أنموذجًا**، فيعود عبدالله الحيدري بعدها في عام ٢٠٠٦م بدراسة عنوانها: **إضاءات في أدب السيرة السعودية**، وفي عام ٢٠٠٩م دخل المضمار باحث جديد هو سعيد الجعيدي بدراسة عنوانها: **فضاء السيرة الذاتية في الأدب السعودي**، وتلحق به عام ٢٠١٢م دخولا الباحثة بسمه القثامي بدراسة وسمتها بـــ: **المرأة في السيرة الذاتية السعودية، قضاياها وتشكلاتها.**

ولم تخلُ القائمة من دراسات ثنائية مشتركة، حيث تشارك في عام ٢٠١٣م كل من صالح الغامدي وعبدالله والحيدري في دراسة بعنوان: **السيرة الذاتية في الأدب السعودي، دراسات نقدية**، وانفرد صالح الغامدي في العام نفسه بدراسة عنوانها: **كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية**، ونشر بعده

محمد الدبيسي دراسة: **حكي الذات، السيرة الذاتية لأدباء المدينة المنورة**، ثم جزَّاع الشمري في دراسة عنوانها: **أجناسية السيرة الذاتية السعودية، دراسة إنشائية**، أما نوف المحيش، فقد اختارت: **عتبات النص في السيرة الذاتية في الأدب السعودي** عنوانا لدراستها، وأنجزتها كرسالة ماجستير في العام ٢٠١٧م، وجاورتها زمنيا حصة الحارثي بأطروحة دكتوراه بعنوان: **تشكيل الذات، دراسة في رواية السيرة الذاتية في الأدب السعودي**، واختارت حنان الرويلي عنصر المكان في السيرة موضوعا لدراستها تحت عنوان: **بنية المكان في السيرة الذاتية النسائية السعودية**، وهو الموضوع ذاته الذي كتب فيه وائل الجفير تحت عنوان: **جمالية المكان في السيرة الذاتية في الأدب السعودي (١٤٢٠هـ ــ ١٤٣٢هـ)**، دراسة نقدية. ومثلهما كتبت إيمان المحارب، في دراسة: **تشكلات الزمن والمكان في السيرة الذاتية السعودية، دراسة في نماذج مختارة.** واختارت نهاد الملحم: **السرد في رواية السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية من (١٩٩٨م ــ ٢٠١١م) ــ تقنياته وخصائصه** موضوعا لأطروحة الدكتوراه التي قدمتها عام ٢٠١٨م، وفيه أيضا أنجزت إيمان المخيلد اطروحتها: **المرجعي والتخيلي في الرواية السير ذاتية في الأدب السعودي.** ليختتم أحمد هروبي هذه الدراسات الدائرة حول السيرة الذاتية السعودية بدراسة نشرها عام ٢٠٢١عنوانها: **الذات في السيرة الذاتية في المملكة العربية السعوديةمن عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٤٣٩هـ ــ**

**▪ قراءة في ضوء النقد الثقافي.**

تضعنا هذه الدراسات مجتمعة حيال تحديد إضافة هذه الدراسة العلمية، التي يتوخى الباحث بلوغها، وهنا تأتي أهمية اختيار الكاتبة السعودية، وتسريدها ذاتها بالنظر إلى ندرة الدراسات الدائرة حول هذا، وتزداد هذه الطرافة في الموضوع حين تحدد الدراسة قضيتها الأولى ممثلة في موقف الكاتبات السعوديات من الآخر بكل حمولاته الفكرية والسياسية والدينية والثقافية والاجتماعية وما إلى ذلك، خاصة في ظل الموقف المجتمعي من الكتابة النسائية في المجتمع السعودي في حقبة من الحقب.

تم اعتماد مدونة الدراسة مما توفر من سير ذاتية سعودية نسائية منشورة، وهي:

١ــ أميمة عبدالله الخميس: **ماضي ــ مفرد ــ مذكر.** مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ــ لبنان. ط١، ٢٠١١م.

٢ــ هدى بنت عبد الله الدغفق: **أشق البرقع .. أرى.** جداول للنشر والتوزيع، لبنان. ط١، ٢٠١١م.

٣ــ ليلى سعيد الجهني: **٤٠ في معنى أن أكبر.** دار أثر للنشر والتوزيع، الظهران ــ السعودية. ط١، ١٤٣٦هـ .

٤ــ هدى الدغفق، **متطايرة حواشي، شذرات سيرية.** دار أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.

منهجيا، وبما أن الدراسة تتتبع حضور الآخر في السير الذاتية النسائية السعودية وفق ما شكلته الأنساق الثقافية المضمرة في هذا الحضور، فهي إذن تعتمد النقد الثقافي منهجا لها، بوصفه منهجا يحلل النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية، وسياسية، واجتماعية،

وأخلاقية، بعيدًا عن المعايير الجمالية، والفنية، والبويطيقية[١]، والنسق الثقافي يتحدد عند عبدالله الغذامي " عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد، أو فيما هو في حكم النص الواحد. ويشترط في النص أن يكون جماليًّا، وأن يكون جماهريًّا. ولسنا نقصد الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلًا"[٢].

ننطلق من فرضية قوة النسق الثقافي المضمر في صناعة وتشكيل مواقف الكاتبات السعوديات من الآخر في صياغة سيرهن الذاتية، انطلاقا من أن " النسق هو العنصر الأساس والمنطلق الرئيس في عملية النقد الثقافي، وهو ما اختفى خلف الخطاب، وقد عملت الثقافة على ترسيخه في عقلية المتلقي، وهو ما يتركه الخطاب من تأثير في ثقافة الأمة"[٣].

**▪ ما الآخر ؟**

بالعودة إلى المعاجم اللغوية العربية كـ لسان العرب لابن منظور نجد أن " الآخَرُ بمعنى غَير، كقولك رجلٌ آخَرُ، وثوب آخَرُ"[٤]، و"مثنى

---

(١) انظر، حمداوي، جميل: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان. دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني. ط١، ٢٠١٥م. ص٧ ــ ٨.

(٢) الغذامي، عبد الله: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية. المركز الثقافي العربي. ط٦، ٢٠١٤م. ص٧٧.

(٣) الشمري، محمد لافي: جهود عبد الله الغذامي في النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ــ كلية الآداب. ٢٠٠٨م. ص١٤.

(٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، المجلد الأول، باب الهمزة، مادة أخر. طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين. دار الحديث ــ القاهرة. ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م. ص٩٤.

آخر آخران،. وتُجمع مفردة آخر على أُخَرَ وأُخْرَاةٌ، وأُخْرَياتٌ، وآخرين"[١].

ويعبر مصطلح الآخر عن الاختلاف، والتأخر، والمغايرة، كما في القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي، فيعني الاختلاف والغيرية؛ يُقال: " الآخَر بفتح الخاءِ: بمعنَى غير، .. والأُنْثَى أُخْرَى"[٢]، قال تعالى: (... أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ..)[٣]، فالمرأة هنا أخرى؛ وهذا يعني أن الآخر كلمة تطلق على الآخر المختلف، وبهذا فالآخر في القرآن الكريم وفي المعاجم اللغوية العربية تحيل إلى المختلف والمغاير من الإنسان، وتحيل على معاني التأخير، وانتقاص الآخر ودونيته.

في الاصطلاح: الآخر في أبسط صوره: هو مثيل أو نقيض الذات/الأنا[٤]، وبوسع المرء ــ أيضًا ــ أن يتصور الآخر كتجريد، أو كحالة من حالات التكوين النفسي لأي فرد، بوصفه آخرًا بالقياس إليه، سواءً كان هذا الآخر فردًا، أو جماعة اجتماعية لا تنتمي إليها الذات/الأنا، أو النحن. وهذا الآخر ليس هو البعيد جغرافيًا أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم؛ إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها، ويحارب بعضها البعض الآخر داخل المجتمع الواحد[٥]. فقد يكون الآخر داخليا: النساء بالنسبة إلى الرجال،

---

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القَامُوسُ المحيطُ، مرتبٌ ترتيبًا ألفبائيًا وفْقَ أوائلِ الحروفِ، باب الألف، مادة أخر. دار الحديث طبع نشر توزيع، القاهرة ــ مصر. دط، ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م. ص٤١.

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القَامُوسُ المحيطُ، مرجع سابق، ص٤١.

(٣) سورة البقرة، رقم السورة (٢٨٢).

(٤) انظر، الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيَّارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب. ط٣، ٢٠٠٢م. ص٢١.

(٥) انظر، لبيب، الطاهر: صورة الآخر، العربي ناظرًا ومنظورًا إليه. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان. ط١، ١٩٩٩م. ص١١١.

الأغنياء بالنسبة إلى الفقراء، المجانين بالنسبة إلى الأسوياء، أو يمكن أن يكون خارجيًّا بالنسبة إلى المجتمع، كفرد أو مجتمع آخر سوف يكون قريبًا أو بعيدًا بحسب حالة الانتماء إلى الذات/الأنا، أو النحن(١). والآخر، هو: الهامشي الذي يستبعده المركز، أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر، لكنه ــ أيضًا ــ جوهري بالنسبة إلى كينونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي، ولا نعرف الذات دون الآخر(٢)، على نحو ما صاغه الخطاب الاستعماري على نحو " مقاربة العلاقة التقليدية بين الشرق المستعمَر، والغرب المستعمِر، القائمة على صراع إشكالي ضمني بينهما يذهب باتجاه السعي إلى امتلاك الحقيقة على المستويين: الروحي والمادي، التاريخي والراهن، المتخيل والواقعي"(٣). بمعنى أن يرتبط الأمر بفكرة الغالب والمغلوب، .... فالغالب لا يكتفي بمصادرة تاريخ المغلوب والتكلم باسمه، بل يذهب إلى ما وراء التاريخ، محاولًا خطف ذاكرة المغلوب، أو بأقل تقدير طمس معالمه المفيدة.

وبالرغم من قوة هذه المنازعات بين الذات والآخر فمن المستحيل بل من المستبعد أن تكون هناك أنا بدون آخر، والعكس صحيح، والدليل أنه بقدر

---

**(١) انظر، تودوروف، تزفيتان: فتح أمريكا مسألة الآخر. ترجمة: السباعي، بشير، تقديم: غزول، فريال جبوري. سينا للنشر. ط١، ١٩٩٢م. ص٩.**

**(٢) انظر، الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيَّارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا. مرجع سابق، ص٢١ ــ ٢٢.**

**(٣) عبيد، محمد صابر: المتخيل الاستشراقي، الأنا والآخر، في سرديات سلطان بن محمد القاسمي. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ــ لبنان. ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م. ص٥٩.**

ما تنظر الذات/الأنا إلى الآخر بوصفه عدوًا، بقدر ما تبحث عن آخر صديق، محتمل لتقوية عود المنافسة؛ سعيًا إلى كسب الرهان المنشود(١).

هذا يعني أن الآخر، هو: كل من لا ينتمي إلى موطن وزمن الذات، ولا يحمل هويَّتها، ولا ينتمي إلى خصائصها الحضاريَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، وهو ــ كذلك ــ من كانت له تطلُّعات أو رؤًى تتعارض مع المصلحة العليا للذات، سواءً حصل لقاؤه معها في موطنه أم في موطنها(٢)، أو لم يحصل.

إن مفهوم الآخر في الدراسات الاجتماعية والأدبية مرتبط بمسألة انقطاع الذات، بمعنى ضياع الذات واضمحلالها، على اعتبار أن كل تجربة ذاتية تتشكل من معين ذلك الآخر، رغم ما يحدث بينهما من تحدٍ وصراع، وهذا طبيعي جدا، إذا ما عددناه تحديا وصراعا وجوديا، وهدفه اثبات الأنا وتحقيق الذات، وإذا ما أيقنا أن الذات هي على الدوام ــ في عيني الآخر، وعبر عيني الآخر، وهذه الحقيقة هي التي جعلت الباحثين يتعاطون مع فن السيرة الذاتية خاصة بوصفها ممارسة ثقافية مخصوصة، ومشتبكة مع السيرة الذاتية بشكل خاص، حيث أن بوحها عن تفاصيل العلاقات الاجتماعية كفيل بفضح موقف الذات الكاتبة من الآخر والعكس، وهنا تخضع الكتابة بشكل حتمي لموقف ثقافي عام(٣).

---

(١) انظر، الداهي، محمد: صورة الأنا والآخر في السرد. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر. ط١، ٢٠١٣م. ص١١ ــ ١٣.

(٢)انظر، الشبلي، إبراهيم خليل: الذات والآخر في الرواية السورية. دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن. ط١، ٢٠١٩م. ص١٨.

(٣)انظر، المبخوت، شكري: سيرة الغائب، سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين. دار الجنوب للنشر، تونس. دط، ٢٠٠١م. ص٢١ ــ ٢٣.

## ـ تعريف السيرة الذاتية

السيرة الذاتية بحسب الإنشائي الفرنسي ومرجع السيرة الذاتية فيليب لوجون "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته"(١). وهي " سرد قصصي يتناول فيه الكاتب ترجمة حياته، وما يعترض حاله من معضلات وشدائد، محاولا أن تكون الأحداث متتابعة زمنيا، وهو في السيرة الذاتية لا يذكر إلا ما يشاء ذكره عن حياته، وما يريد أن يوضحه عن الناس حوله، وتعد السيرة الذاتية أبرز أشكال كتابة الأنا وأمتنها صلة بفن السرد"(٢).

## ـ السيرة الذاتية في الأدب السعودي

كانت البداية مع " سطور كتبها محمد سرور الصبان عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، يترجم من خلالها لنفسه، تلا ذلك تراجم مشابهة لا تشكل سيرا ذاتية بالمفهوم المعاصر، وإنما هي بواكير هذا الجنس في الأدب السعودي، وفي عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ظهرت أول سيرة ذاتية في شكل قصصي، أو ما يمكن أن يطلق عليه في المفهوم المعاصر رواية السيرة الذاتية، ونقصد كتاب أحمد السباعي أبو زامل الذي تحول فيما بعد إلى أيامي وصرح فيه باسمه، وتتابعت الأعمال بعد ذلك متخذة أشكالا متعددة، منها ٤٦ يوما في المستشفى لمحمد عمر توفيق، وهذه حياتي لـ حسن محمد كتبي، وهي أعمال يحمد لها الظهور المبكر في أدبنا، مُشَكِلَة البواكير الأولى لفن

---

(١) لوجون، فيليب: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي. ترجمة وتقديم: حلي، عمر. المركز الثقافي العربي. ط١، ١٩٩٤م. ص٨.

(٢) صالح معيض الغامدي وأبو المعاطي الرمادي، الأدب السعودي، كرسي الأدب السعودي ـ الرياض، ط١، ٢٠٢١، ص ٢٩٠.

السيرة الذاتية في الأدب السعودي ...، وفي المدة من ١٣٩٢ــ ١٤٠٠هـــ، ١٩٧٢ــ ١٩٨٠م صدرت أربعة أعمال وهي: تجربتي الشعرية لـــ حسن القرشي، وذكريات طفل لـــ عبدالعزيز الربيع، وذكريات لـــ أحمد علي، وسيرة شعرية لـــ غازي القصيبي، وقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين ازدهارا كبيرا لفن السيرة الذاتية في الأدب السعودي: إبداعا، ودراسات جامعية، ونقدا، وببليوجرافيا ..، واهتماما من الصحف والمجلات والنقاد، ودور النشر"(١).

## ـ السيرة الذاتية النسائية السعودية

السيرة الذاتية النسائية السعودية بدأ ظهورها في بواكير القرن العشرين، وتبلورت بداياتها تلك على شكل مقالات وكتابات عابرة، ولم تكن بصورة عامة سيرة ذاتية خالصة بل اختلطت فيها المذكرات واليوميات وغير ذلك، وفي الخمسينيات من القرن الماضي تعالت نبرتها، ونضجت في الثمانينيات منه، ويمكن القول :"إن الكتابة في فن السيرة الذاتية حتى ما قبل ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م في أدبنا السعودي كانت مقصورة على الرجل، ولذلك فإن كتابة المرأة عن نفسها عبر مذكرات أو ذكريات تنشر في الصحف والمجلات يعد لونا طريفا في الكتابة في الأدب السعودي كان غائبة مدة طويلة، وليس بالمستغرب تأخر إسهام المرأة في هذا الفن عن الرجل، ذلك أن تعليم المرأة في المملكة لم تتبناه الدولة رسميا إلا عام ١٣٧٩هـــ"(٢).

---

**(١) صالح معيض الغامدي وأبو المعاطي الرمادي، الأدب السعودي، مرجع سابق، ص ٢٩٣.**

**(٢) صالح معيض الغامدي وعبدالله الحيدري، السيرة الذاتية في الأدب السعودي ــ دراسات نقدية، كرسي الأدب السعودي ــ الرياض، ط١، ٢٠١٣م، ٢٨٤ــ٢٨٥.**

## ـ دور سلطانة السديري في نشأة السيرة الذاتية النسائية السعودية

يمكن اعتبار الكاتبة سلطانة السديري أول من كتب أدب السيرة الذاتية من السعوديات، " فذكرت أنها كانت تكتب مذكراتها منذ أن كانت في الرابعة عشرة من العمر وحتى الرابعة والعشرين بصفة شبه يومية، وأحيانا بصفة أسبوعية في دفترها الخاص"(١).

تبنت مجلة المجلة العربية كتابات سلطانة السديري ونشرتها على مدى ستة أعداد، من عدد ربيع الآخر ١٤٠٨هـ حتى عدد رمضان ١٤٠٨هـ، ويبدو أنها لم تنجح ولم تواصل الطريق في كتابة سيرتها، " حيث أُجبرت الكاتبة بضغط من أسرتها على التخلي عن مواصلة كتابة سيرتها التي كانت قد بدأتها على شكل حلقات ... تحت عنوان: مذكرات امرأة سعودية"(٢).

## ـ دور فوزية أبوخالد في السيرة الذاتية النسائية السعودية

بعد سلطانة السديري ظهرت عبر صحيفة اليوم، وتحت عنوان **سيرة ذاتية أدبية لتيار جماعي**، سيرة للكاتبة فوزية أبو خالد، " وإن لم يكن اهتمام فوزية أبو خالد في هذه المقالات ـ وكما يتضح من العنوان ـ بحياتها الخاصة بقدر اهتمامها بالحديث عن أثر بعض المدرسات في توجهها الثقافي، وعن طريقتها في تثقيف نفسها، وأبرز الصحف السعودية والعربية التي كانت لها تأثير في مسيرتها الأدبية"(٣).

---

(١) صالح معيض الغامدي وعبدالله الحيدري، السيرة الذاتية في الأدب السعودي ـ دراسات نقدية، مرجع سابق، ٢٨٥.

(٢) عبدالله الحيدري، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، دار طويق ـ الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٥٦ـ ١٥٧.

(٣) صالح معيض الغامدي وعبدالله الحيدري، السيرة الذاتية في الأدب السعودي ـ دراسات نقدية، مرجع سابق، ٢٨٦ـ٢٨٧.

## ـ الاستمرارية في مجال السيرة الذاتية النسائية السعودية

ظهرت بعد ذلك الكاتبة والشاعرة السعودية هدى الدغفق، ونشرت عملا سيريا بعنوان **أشق البرقع أرى**، وجاء صدوره في عام ٢٠١١م، مؤكدة من خلاله على الرغبة الجامحة لدى الكاتبة السعودية في البوح والكتابة عن حياتها وتجاربها ومآسيها وطموحاتها، وقد وقعت هذه السيرة الذاتية في مائة وإحدى وتسعين صفحة من القطع دون المتوسط. توزعت على أربعة أقسام، تسبقها كلمة بعنوان: تفاحة رغبتي المؤجلة. استهلتها الكاتبة بـ الخروج من الخيمة، وختمتها بـ موقف أخير.

قدمت الكاتبة السعودية أميمة الخميس في عام ١٤٣٢هـ **ماضي منفرد مذكر**؛ التي تقع في مائتين وسبع وثلاثين صفحة من الحجم دون المتوسط. توزعت على خمسة وأربعين موضوعًا، تسبقها كلمة بعنوان إلى اللواتي هناك. بدأت بـ الضماد، وانتهت بـ عامي الأخير. تسرد أميمة فيها "مقاطع من تجربة نسوية طويلة لامرأة داخل مؤسسة تعليمية .. صارمة عبر مراحل متعددة في حياتها كطالبة، ومن ثَمَّ معلمة، فمسؤولة"(١)، ومديرة في وزارة التعليم.

في عام ١٤٣٦هـ نشرت ليلى بنت سعيد الجهني سيرة ذاتية بعنوان **٤٠ في معنى أن أكبر**، ووقعت في اثنتين وستين صفحة من القطع دون المتوسط، ضمَّت بين دفتيها ثمانية وعشرين موضوعًا، يبدأ كل منها بعبارة "إنني أكبر"(٢).

---

(١) الخميس، أميمة بنت عبد الله الخميس: ماضي ـ مفرد ـ مذكر. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان. ط١، ٢٠١١م. صفحة الغلاف.

(٢) الجهني، ليلى بنت سعيد: ٤٠ في معنى أن أكبر. دار أثر للنشر والتوزيع، الظهران ـ السعودية. ط١، ١٤٣٦ه. ص٥.

عادت هدى الدغفق مع عام ١٤٣٨هـ بسيرة ذاتية ثانية عنوانها: **متطايرة حواشي، شذرات سيرية**، وهي في مائة وخمس صفحات من القطع دون المتوسط. توزعت على ثلاثة أقسام، افتتحتها الكاتبة بـ قناعة، واختتمتها بـ محسوسات، فيما ضم كلٌّ قسم منها عددًا من القضايا والموضوعات، وأفردت لكل منها عنوانًا مستقلًّا.

في العام ٢٠١٥م نشر نادي الطائف الأدبي لهند عبد الرزاق **سيرة الحب**، واختتمت الهنوف صالح الدغيشم هذه السير بنصها المنشور عام ٢٠١٦م بعنوان **فرايبورغ: رقة العزلة**.

**ـ الخطابات الثقافية التي تبنتها الكاتبات السعوديات في سيرهن الذاتية**:

نسعى تحت هذا العنوان إلى تحديد الخطاب الثقافي العام الذي تبنته كل كاتبة على حده، بهدف وضع خارطة طريق لمجمل الخطابات الثقافية التي ترسمنها كاتبات السيرة الذاتية السعودة، وسننطلق من **أشق البرقع ..أرى**، السيرة الذاتية التي سردت هدى الدغفق من خلالها حالة من الرفض والاحتجاج لذلك الضغط النسقي الثقافي الذي عانت منه كأنثى سعودية، في مجتمع تصفه بالذكوري الخالص، وهذا الاحتجاج يقود خطابها لإعلان رغبة التحرر الجامحة، المتمثلة في الثورة على البرقع خاصة، مصدرة خطابها الاحتجاجي هذا بفعل ثائر على البرقع، الذي تريد تمزيقه كي أرى، وكأن البرقع ــ من وجهة نظرها ــ حاجب الرؤية/الحرية، قامع الانطلاق نحو كل شيء، ومنه الآخر، الذي حجب قدرتها على التواصل معه، ولهذا صدّرت الدغفق قضايا المرأة السعودية من خلال سيرتها الخاصة، مثل إلزام المرأة بالعباءة، ومنعها من السفر دون محرم، والوقوف ضد إتمام دراستها في الخارج. وهذا كله يعني الآخر في الضفة الأخرى وعدم القدرة إلى بلوغه،

واتضح ذلك أكثر حين عبّرت عن دوافعها للبوح بقولها: " ربما لهذه الأسباب كلها، سعيت لتسجيل تجربتي كامرأة وككاتبة، امرأة مكبلة بألف قيد وقيد .. سأغامر .. بهذا البوح .. وأنتظر تفاحة رغبتي المؤجلة"(١).

الذات التي تتحدث عنها الدغفق كانت الأعراف الخانقة هي قضيتها الأولى من جهة، وانحيازها لجنسها الأنثوي من جهة أخرى، لهذا تستدعي للبرهنة على ذلك تفاصيل تجربة غرائبية على حد تعبيرها، مداره رفضها التام لأنساق الثقافة، ومنها: الماضوية، والفردانية، والذكورة. مستعينة في سرد ذاتها بقوة المعلومات والأحداث وفنون اللغة.

طرحت ليلى بنت سعيد الجهني في نصها السيري: **٤٠ في معنى أن أكبر** موضوعات متباينة، دار ــ معظمها ــ حول الحياة، وفلسفة الوجود، والسعي وراء المعرفة، واشتملت على بعض المواقف والأحداث التي مرّت بها خلال الأربعين سنة المنصرمة من عمرها، واستهلت خطابها بإعلان حبها الجامح للدراسة والتعلم، فجعلته مدخلا لخطاب أعم يسرد حكاية "علاقتها مع حواسها، وعالمها الآخر، بأسلوب تخييلي، تلتحم فيه مع عالم الحلم؛ بحثًا عن عالم بديل"(٢).

خطاب الجهني السيري الذاتي لا يبتعد كثيرا عن الخط الذي سار عليه خطاب الدغفق برفض ضغط الأنساق الثقافية، التي شكلت أنماط حياتية تقليدية، لتكون التقاليد والأعراف قضيتها الأولى التي عبرت عنها حتى في

---

(١) الدغفق، هدى بنت عبد الله: أشق البرقع .. أرى. جداول للنشر والتوزيع، لبنان. ط١، ٢٠١١م. ص١٥.

(٢) هروبي، أحمد بن علي بن محمد: الذات في السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية، من عام (١٣٧٤ ــ ١٤٣٩ه)، دراسة في ضوء النقد الثقافي. أطروحة دكتوراه، جامعة الملك خالد، أبها ــ السعودية. ١٤٤٢هـ ــ٢٠٢١م. ص٣٤.

سيرتها الذاتية الثانية **متطايرة حواشي، شذرات سيرية**، وكأنها تتبنى خطابا ثقافيا واحدا في منتجها السيري كله.

الخطاب الذي صدرته أميمة الخميس في **ماضي مفرد مذكر** يتوجه صوب رصد تجربتها الوظيفية الشخصية في مجال التعليم، فأصبح أشبه بالسجل المُوَثّق لوضعية التعليم المرتبط بالوضعية الاجتماعية عامة، حتى إن وجهات نظر تعتبره مصدرا من مصادر البحث في تعليم تلك المرحلة.

## الآخر في السير الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي:

### أولا ـ الآخر في عتبة عنوان نصوص السير الذاتية السعودية النسائية

لم يكن الآخر غفلا في هذه السير النسائية السعودية، فقد اتضح حضوره منذ عتبة العنوان، ونستطيع أن نعتبر نص هدى الدغفق **أشق البرقع . أرى** أنموذجا واضحا على تلك القصدية الواضحة المعالم، حين اختارت لسيرتها صيغة فعلية مركبة تتضمن معنى الكشف عن رؤيتها تجاه الآخر، لأن " الذات الساردة والشخصية الرئيسية تنسب فعل أشق إلى ذاتها، ضمير المتكلم أنا، أي ــ أشق أنا البرقع ــ بوصفه فعلا تتلفظ به الذات الأنثوية الساردة والشخصية من أجل أن ترى، فماذا ترى؟ أليس الوجود بكل عناصره!!، ومن أبرز عناصره الآخر، الذي نتعامل معه في كل مجالات حياتنا، لتؤكد أن البرقع شَكّل سدا منيعا تجاه رؤية الأشياء ومنها الآخر، ونستطيع تأكيد وجهة نظرنا من خلال حرصها على رغبة اكتشاف الطرف الآخر من العالم، الذي حرمت منه بضغط ذكوري عنيف، فالطرف الآخر من العالم مفتوح على كل أشكال الآخر وصوره وأنماطه، كما أنها تعبر عن الرجل الذي تراه ولا تكاد تراه، فهو آخرها الجندري الذي يتسلط حدّ غيابه عنها، وحدّ حاجتها إليه.

ويبدو أن هذا الآخر المذكر شغل بال الكاتبة السعودية حدّ صعوبة انطلاق العتبة الأولى في سيرتها من دونه، كرغبة الدغفق أن ترى رجلا غائبا تتمنى حضوره، هذا الآخر المذكر يكشف عنه صراحة عنوان سيرة **ماضي مفرد مذكر** لأميمة الخميس، وهو بحسب رأي جزّاع الشمري مكون من مفردات ثلاث: " الماضي ويمثل تاريخ الأنثى الطويل وحياتها في بيت الولاية، من أب أو زوج، وفي خارجه ماضي أعراف متوارثة وعادات وتقاليد مجتمعية، .. أما لفظ مفرد فيقترن بذات الكاتبة/أنثى مفردة في صراع مع قيم منظومة مجتمعية، ... وهي علاقة غير متكافئة بين طرفي الصراع: أنثى/مفرد، ومجتمع/جمع، في شتى صور سلطته المهيمنة على ذات الأنثى، .. ولفظ مذكر، لفظ دال على السلطة الذكورية تصريحا لا تلميحا، وهي السلطة المهيمنة على الذات الأنثوية، والمحددة لمسارات وجودها"(١).

لم يتوقف الأمر في هذه القصدية على عتبة العنوان بل وجدناها بارزة في العتبات الداخلية أيضا، كعنونة الدغفق بعض مقاطع سيرتها بعناوين تتقصد الآخر الرجل، مثل: تفاحة رغبتي المؤجلة، وفيه تقصد أن " الحاجز الذي يحول دون رؤية ذاتها ما هو إلا برقع يكبل حركتها، ومجتمع ذكوري متجهم، إذ يسعى إلى حرمانها من مباهج الدنيا ومتع الحياة"(٢)، ممثلة في التفاحة بكل مرجعياتها الأسطورية والدينية. وتكرس هذا التوجه في عنوان هو: سوادي وبياضه، فالأسود يليق بها كأنثى والأبيض يليق بالآخر الذكر، السواد ثوب الحزن والكآبة والحداد والعزاء، والبياض لون فستان الفرح حين

(١) جزاع بن فرحان الشمري، أجناسية السيرة الذاتية السعودية، النادي الأدبي بالرياض ــ الرياض، ط١، ٢٠١٨م، ص ١٣٤.

(٢) جزاع بن فرحان الشمري، أجناسية السيرة الذاتية السعودية، مرجع سابق، ص ١٥٩.

تزف إليه، مُمَتِّعا به نظره، وحين تموت فلا أكثر من أن يكون هـذا الثـوب الأبيض كفنا لها.

## ثانيا : الآخر في متون النصوص السير الذاتية السعودية النسائية

اشتملت هذه النصوص على احتجاج كبير على ما يحظى بـه الآخـر الرجل من مساحة كبيرة في كل الفضاءات في مقابل ضيق المساحات التـي تحظى بها المرآة لتعبر عن ذاتها، وتكشف عن كينونتها، أنظر كيف أن الآخر حجر عليها الوقوف على منصة الإبداع حتى في التعبير عما تبدعه من شعر، وكيف أن الكاتبة السعودية عبرت بحنق عن هذا الإقصاء، فهدى الدغفق تختتم سيرتها بموقف أخير فيه جرأة منها على مخالفة العرف السائد في خروجهـا عن المألوف حين خرجت في لحظة شجاعة تلقـي شـعرها علـى المنبـر المخصص للآخر الرجل، تقول: " في أمسية أخيرة لـي فـي جـدة، خـلال مهرجان الجنادرية أبريل ٢٠١١م، أصررت على أن ألقي شعري من المنبر المخصص للشعراء، قررت في لحظة شجاعة، وربما لحظة طيش، أن أحطم ذلك الحاجز الزجاجي الذي يفصل النساء عن الرجال في القاعـة، وأقـتحم المنبر، لكن هذه الحادثة ألهبت القاعة فـي سـجال صـاخب، بـين محـتج ومعاضد"(١).

الآخر في محيط الأسرة له حضوره الواضح في حياة الكاتبات علما بأن تأثيره لم يكن على كل حال تأثيرا إيجابيا بل تراوح بين السـلب والإيجـاب، وبالتالي فالمنزل شكل حضورا لآخر من نوع خاص يمكنه أن يعطل مشاريع الأنا ويضعها موضع الانطلاق أو التقهقر.

(١) هدى الدغفق، أشق البرقع. أرى، مرجع سابق، ص ٧٩.

الأم أول أشكال هذا الآخر الأسري، وهي في حياة هدى الدغفق صديقة سرية مخلصة لأبنتها هدى، تصفها هدى بقولها: " هي أمي .. أستمتع كلَّ ليلة بصوت أمي وهو يشاكسني، كعادته، بحب كبير واهتمام وأسئلة طفولية تغوص في صدري وتكسر قدرتي على انتزاع دهشتها، لا قدرة لأحد على الفصل بين ضلوعي ومساكنة شراييني كأمي، تنسج لها حول كل كرة من دمي غشاء تتجوَّل خلاله في كلي بمرونة مغايرة. أمومة الحنو ليست بحاجة إلى إذن كيمياء خاصة للاحتواء. أحاول أن أوسِّع غرف رئتي لأشمَّ أكبر قدر من رائحة أمي. أسعد ليلة تلك التي أنام فيها إلى جوارها وأستعيد أكسجين الطفولة الذي افتقدته بانشغالاتنا الشخصية الطارئة .." (١).

الأم بوصفها آخرا لا تغادر دورها كأم حنون، تعي قيمتها ودورها في حياة أبنتها، حين تعمق العلاقة لتنشئة ذات أبنتها هدى، وهنا تأكيد على أن الثقافة قادرة على أن " تبتكر لنفسها قيما إضافية بواسطة منح الكلمات دلالات مزدوجة"(٢).

الأب آخر في محيط القرابة يلعب أحيانا دورا تحفيزيا للذات، وقد يحدث العكس تماما، ففي **أشق البرقع. أرى** جاء الأب محايدا خاصة في اسهام المرأة السعودية في النشر في الصحف والمجلات، وهذا الموقف المحايد لا يصب بالتأكيد إلا في اطار موقف تحفيزي إيجابي، على اعتبار أن الأب بوصفه وليا لأبنته بوسعه أن يمنع انخراطها في الكتابة الصحفية، فضمنيا أسهم في دعم موهبتها ومواصلة فعل الكتابة، فضلا عن كونه تجاهل

---

**(١) الدغفق، هدى بنت عبد الله: متطايرة حواسي، شذرات سيرية. أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م. ص٩٦.**

**(٢) الغذامي، عبد الله: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب. ط١، ٢٠٠٩م. ص١٥.**

الانصات للمحرضين على إيقاف مشروع الكتابة لدى أبنته، بعد نشرها باسمها الصريح، تقول:" كان موقف أبي المحايد مني فيما يخصُّ مسألة النشر والكتابة مشجِّعًا لي على التمسك بالكتابة، أليست الكتابة قدري وملاذي ولذتي؟. كان يخبرني أحيانًا وأنا أجلس إلى جواره، عن ثناء بعض أصحابه على قلمي، وكذلك عن محاولة بعضهم مضايقته، ومحاولته استيعاب مواقفهم ولومهم إياه على إذنه بالكتابة والنشر .. النشر باسمي لم يقد أبي إلى أن يقف مني موقفًا سلبيًّا، بل ظل يحيطني بحنانه وتقبُّله"(١).

من طبيعة " الذات أنها لا تمثل حقيقة مغلقة، لا نوافذ لها ولا أبواب، بل هي منذ البداية حقيقة مفتوحة، لا تحيا إلا بالآخرين ومع الآخرين. ومهما يكن من أمر الصراع بين الذوات، فإن ترقي الحياة البشرية لا بد من أن يدفع بالذات الواحدة نحو المزيد من التَّفتح، والمزيد من المشاركة. وإذن فإن الامتداد نحو الآخرين لا يتعارض مع طبيعة الحياة .. وإنما هو ــ على العكس من ذلك ــ موافق للطبيعة، بل شرط ضروري للحياة المليئة الخصبة"(٢)، لكن من طبيعة هذا التواصل مع الآخر أنه يصنع حدودا لعلاقة الذات مع الآخر، مع أو ضد، فإذا ما كانت المعلمة في حيزها محبطة للذات في طفولتها فهناك عنصر مجتمعي آخر قادر على التحفيز وصناعة الذات، أو العكس.

من أمثلة هذا الآخر القرابي المحفز أن وجدت هدى الدغفق في والدها رافعة تأخذ بيدها نحو سلم النجاح، وعليه فإن الذات تتفاعل مع الآخر وتتأثر

---

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق. ص٨٥.

(٢) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة، مشكلات فلسفية ٧. دار مصر للطباعة، سعيد جودة السمار وشركاه. دط. دت. ص٢٤٥.

بموقفه، لدرجة أنها تعتبره حياة لوجودها، فتقول: " حظيت بتقدير أبي في صور شتى إحداها اشتراكه الدائم في صحيفَتَي: الجزيرة، والرياض السعوديتين، حيث نشرت كتابتي على صفحاتها المخصَّصة للمواهب الواعدة، أوائل الثمانينيات .. لم يكمل أبي دراسته، ولم يكن مثقفًا بما يكفي .. لم تكن ثقافته ثقافة أسماء، أو كتب، أو مفاهيم، أو مصطلحات، أو قوالب من العبارات والأفكار، بل كان أبي واقعًا وكان حياة"(١).

الآخر في حياتنا حياة ومطر وغيث ونماء، وهكذا تعنون الدغفق مقطعا سرديا كاملا من مقاطع سيرتها بـ (محسوسات، مطر أبوي)، إذ لا تجد شبيها لحضور والدها في حياتها سوى حضور المطر على أرض جدباء، وكأن الغيث سمة ملاصقة لشخصية والدها، يهطل فيبعث فيها الروح فتنتشي الحياة، فـ "وحده المطر إذا دنا منَّا يبعث الحياة ويزهر الحبُّ. ما المطر إلا بكاء بشري مشحون بالتوبة. يغسل الوجود فيبدو مرآة. يلتمع مثلَ محيط. يشحن المطر عاطفتي فأبحث عنِّي في الحب، أبحث عنه فيَّ"(٢).

قد تتوسع دائرة الآخر الأسري أو القرابي لتطال العم والخال والعمة والخالة .. إلخ، وخال هدى الدغفق آخر له تأثير قوي،، عطفا على دوره الكبير الذي لعبه في تشكيل ذاتها:

"كان لخالي الفضل الكبير في تثقيفي وشغفي بالقراءة، والوعي بذاتي. وكان له موقفه المختلف من المرأة .. كان عند كل زيارة لنا يمطرنا بوابل من الكتب والمجلات والدوريات وأشرطة الفيديو .. فتعرفت على مجلة: قافلة

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق. ص٨٥ ــ ٨٦.

(٢) الدغفق، هدى بنت عبد الله: متطايرة حواسي، شذرات سيرية. أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م. ص٥١.

الزيت .. ومجلَّتَي: العربي، والكويت الكويتيتين، وملفات مطبوعة جمع فيها خالي بعض المقالات والكتابات .. وكنت أقضي إجازتي الدراسية السنوية في قراءة ما جلبه لنا، وبقيت أحتفظ بتركته من الكتب والمنشورات إلى اليوم كأرشيف من الحنين .. شجعني على الكتابة، وانتقد موقف بعض أخوتي السلبي من نشر اسمي"(١).

ندون في هذا المقام ملاحظة مهمة للغاية، هي عدم جور الكاتبات السعوديات في سيرهن على الآخر القرابي أو هضمه حقه، فعبرن بحيادية عن الجانب الإيجابي فيه بنفس المساحة المتاحة للتعبير عن الجانب السلبي، علما بأن هذا الدور لم يكن بدافع عاطفة الأبوة كما فعل والد هدى الدغفق معها، بل هناك دافع الوعي ممثلا في موقف خالها الداعم لها، ويكفيها من وعيه بذاتها أن وقف متصديا لأخوتها الذين حاولوا منعها من الكتابة في الصحف، وهذا يقودنا إلى مسألة ثقافية أخطر، هي قوة السياق الثقافي والاجتماعي التي عاشت فيه هذه الذوات وكتبت سيرها، حيث أن التيار الصحوي بقوته كان آنذاك مسيطرا على المجتمع، مما يجعل موقف الأب أو الخال الداعم موقفا استثنائيا بل مجابها لسلطة لا تُجابه، حيث بلغ الحد بهذا التيار أن حرّم على المرأة أدب الاعترافات بإصدار فتاوى رسمية، تماما كما فعل" ناصر فريد واصل مفتي الديار المصرية تحت عنوان أدب الاعترافات حرام، مؤكدا أنه لا يجوز للمرأة أن تؤلف كتابا تعترف فيه بما أمر الله بستره، وهو ما يطلق عليه (أدب الاعترافات)"(٢).

---

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص٨٦ ــ ٨٧.

(٢) أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٨٢.

دليل ذلك وجود آخر في محيط الأسرة معطل، محبط، قامع، مثبط، إقصائي، وسنبدأ بالأكثر قرابة منها وهو ولي أمرها زوجها، الذي تعمد قمع مواهبها، حتى بلغ به الحد عقد جلسة محاكمة لها، وهذا وارد في سيرة هدى الدغفق، وتصفه على هذا النحو:

"ولكي أبدو أكثر صراحة، فقد أثَّرت فيَّ محاكمة زوجي ــ سابقًا ــ لي على ما سجلته في مذكراتي حين قرأها دون أن يستأذنني، وغضبه من بعض تفاصيلي المكتوبة، كما أشعرني سلوكه ذاك بانكشاف غريب يشبه انكشاف عورتي للغرباء، بعد ذلك اليوم طويت سجل أعوام من الاعتياد على كتابة يومياتي، ولم أعد أنتظم في بوح دروسها"(١).

كيفية الارتباط بالآخر الزوج في أصله نتاج نسقية اجتماعية راسخة لدى أسر هذا المجتمع، قائمة على أن خيار الاختيار ليس حقا من حقوق الأنثى، وربما حتى الرجل، وهو الزواج التقليدي المتعارف عليه، حيث تتكفل الأم باختيار الزوجة التي تراها مناسبة لأبنها، وهذه الفتاة يدفعها والداها للقبول به حين يقبلا به، ولهذا فالنتيجة طبيعية في تسلطه عليها بعد الزواج، على نحو ما تعبر عنه هدى الدغفق تحت عنوان الخروج من الخيمة، شريعة الإسلام، شرعية المجتمع: "ومنهم من يرى أن له الحق في منع الزوجة أو الأخت أو أي من قريباته من الخروج إلى العمل، بحجة أنه قادر على أن يؤمِّن لها العيش الرغيد فلا حاجة لها إلى العمل، ويرى أن من الأولى لها أن تعمل في بيتها، وتخدمه وتخدم أبناءها. ومنهم من يرى أن من حقِّه أن يتحكَّم في خروج زوجته من البيت وعدم خروجها، ومنهم من يفرض على المرأة عدم الخروج من دون إذنه حتى إلى المستشفى أو إلى زيارة أهلها" (٢).

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص١١١.

(٢) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص٣٣.

هذه الوصاية النسقية في اختيار الزوج وتقرير مصير الفتاة، هو الذي يبرر استمرار هذه الوصاية من قبل الوالدين حتى انتقال الفتاة إلى بيت زوجها، إلى الحد الذي يدفع الوالدين للانتصار لتعنت الزوج وتعنيفه لأبنتهم حرصا على عدم فشل الارتباط، وليس على الفتاة سوى الرضوخ والإذعان، الأمر الذي " يزيد من إحباط المرأة السعودية وشعورها بالهزيمة في مواجهة الواقع الاجتماعي، وإرادتها تجاوز خوفها العائلي، والتخلص من تسلط الذكر والخشية من العودة إلى بيت أهل الزوج"[١] إلى حد رأي هدى الدغفق، التي انتهت من هذا كله إلى زواج فاشل بكل المقاييس، فقَرّرَت جراء التجربة المريرة تلك، ما يلي:

"لم أتزوج ثانية، قلت لنفسي لن أعيد هذه التجربة المريرة .. الكتابة أنثى ملعونة ..، لا رجل يقبل شراكتها، فكلما علم أحدهم بأنني أكتب فر مذعورًا، أو طلب مني أن أتوقَّف عن الكتابة، لكنني ــ في المقابل ــ كنت أضحِّي به، ولا أضحِّي بالكتابة"[٢].

لم تفرد ليلى الجهني للآخر الزوج مساحة كبيرة كما فعلت الدغفق، إنما جاءت إشاراتها مقتضبة مقارنة بعنايتها بتسريد خصوصيات ذاتها، كما أن حضور الزوج في سيرتها رغم ضآلة مساحته جاء حضورا إيجابيا لعدها إياه رفيق الدرب وأمانها في الحياة، فتقول: "إنني أكبر، وأنت معي. ظننتُ كثيرًا أنني سأقطع هذا الدرب وحيدة، وأعددتُ نفسي لذلك؛ لكنكَ جئتَ في اللحظة التي ناسبتْ مجيئك .. وقد تقاطع دربانا في اللحظة التي قُدِّر لهما أن يتقاطعا فيها فأفضيا إلى درب واحدٍ، نمضي فيه معًا. أحيانًا، عندما أفكر في الأمر

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق. ص٣١.

(٢) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص١١٢.

بطريقتي التي تعرفها، أشعر بغرابةٍ تجاه فكرة أنني: تزوجتك .. لكن الفكرة تغدو مقبولة ومبهجة عندما ألتفتُ فألمح وجهك .. وأنت معي، أقول بنزق: أشعر بالفراغ، فتقول بهدوء: اكْتُبي؛ فأحس أنْ ليس هناك ما هو أكثر أمانًا من أن تعرفني إلى هذا الحد، وأن تكون معي"[١].

تتضاعف وصاية هذا النسق على الأنثى المبدعة حدّ تدخل بعض أقاربها[٢]، فيتجلى النسق المحافظ المتشدد مجتمعيا في أعتى صوره، حيث لا يروقه أن تتوجه المرأة للكتابة ولا للإبداع ولا الكشف عن مواهبها، لذا تفنن هؤلاء الأقارب في معايرتها حتى في شأن اقتنائها كتب ومكتبة، وبرعوا في اطلاق جملة من الألقاب بقصد التبخيس والاستهزاء، مثل: أم الدورات، أم القراطيس، أم الكتب على نحو ما يرد في السيرة[٣]، وهذا فعل طبيعي سواء في نموذج الزوج كآخر أو الأقارب كآخرين، انطلاقا من تمثيلهم للثقافة النسقية التي تركن إلى " نسبة العقل للرجل، وتخصصه بصفة الفكر، وتفرد العاطفة للنساء، وهي خدعة ثقافية تعتمد على ما نسمِّيه العمى الثقافي .."[٤].

---

(١) الجهني، ليلى بنت سعيد: ٤٠ في معنى أن أكبر. مرجع سابق، ص٣٤ ــ ٣٥.

(٢) تقول هدى الدغفق في ذلك تحت عنوان سيرتي الناقصة .. حصن إلهامي(٢): "ورغم نظرة الازدراء التي كان بعض أقاربي ينظر بها إلى ما أكتب وعدم تقديرهم قلمي، إلَّا أنني كنت أتحاشى مخاطبتهم .. و .. لا أعير اهتمامًا لذلك" انظر: الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى، مرجع سابق، ص١٣٨.

(٣) تقول : "ودعا اهتمامي بالكتب واحتفاظي بالمجلات بعض أفراد عائلتي إلى إطلاق بعض الألقاب عليَّ مثل أم الجرايد، أم القراطيس، أم الكتب. وأطلقت بعض الصديقات عليَّ لقب أم الدورات؛ لأنني كنت كلما علمت بدورة تدريبية إعلامية أو حقوقية التحقت بها" أنظر: الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص٩٤.

(٤) الغذامي، عبد الله: اليد واللسان، القراءة والأمية ورأسمالية الثقافة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ الرباط. ط٣، ٢٠١٧م. ص٦٠.

لا يتوجب أن نستهين بالآخر القرابي، فسلطته المتوهمة قادرة على التغلغل حتى في إرادة حملك وإنجابك، كما حدث مع ليلى الجهني في سيرتها **٤٠ في معنى أن أكبر**، مبرهنة على نسقية التطفل والفضول حد الوصاية الأسرية، المرتبط بتقليد مجتمعي مقدس، وهو فكرة تخليد أسم الوالدين في مجتمعاتنا العربية خاصة، لذا يأتي ضغطهم الكبير عليها كأنثى بضرورة وأهمية الإنجاب كونه ضمان استمرار الذرية، على أن ليلى الجهني ترى بخلاف ما يراه النسق الصارم هذا، بحسب تعبيرها التالي: " إنني أكبر، وأبلغ أربعيني دون طفل، ومع ذلك فإن اسمي لن ينمحي كما تظنُّ نسوةٌ كُثُرٌ حولي .. وكلُّ ما أعرفه عن الحياة جعلني أدرك أن الخلودَ حِلِيَةُ من يعي لا من يتكاثر. وفوق هذا فإن حياتي ملأى .. كنتُ قد انشغلتُ فترة بأن أبرر لهن ولغيرهن سبب عزوفي عن الإنجاب، ثم أدركتُ أني كمن يسبحُ في ماءٍ باردٍ .. وأن هؤلاء النسوة ومن يفكر بطريقتهن لا يعين أنفسهن كما أعي نفسي، ولا يرين العالم من زاويتي، فقررتُ أن أبتسم فحسب .. وأن أفهم كيف تظن امرأة أن كلَّ الأبناء عملٌ صالحٌ، يمكن أن تدَّخِره لأيامها الأخيرة، فتردد بيقين فادح: جيبي لك سند يشيلك لمـَّا تكبري؟ .. ولأني أظن ــ دائمًا ــ أنَّ الناس لن تفهم هذه الأفكار، فقد كففتُ .. عن أن أبررها وأبرر نفسي لأحد"(١).

لنخرج من نطاق العائلة إلى آخر المجتمع المحيط، وأول ما تواجهه الذات في المحيط المجتمعي آخرا يتمترس في فضاء المدرسة، والمدرسة كما نعلم هي المربي الثاني بعد الأسرة، وربما أول مجتمع مفتوح تعيشه الذات من بعد فضاء الأسرة، ولذا فتأثيره يمتد من عمر الطفولة حتى الكبر، وخير أنموذج لهذا الآخر معلمة أميمة الخميس فاطمة، التي تحدثت عنها مليا في

(١) الجهني، ليلى بنت سعيد: ٤٠ في معنى أن أكبر. مرجع سابق. ص٩ ــ ١٠.

سيرتها **ماضي مفرد مذكر**، وفاطمة معلمة الصف الرابع عربية من فلسطين، شرسة الطباع، درستها مادة الرياضيات، ولها منها موقف إشكالي نعرفه من الكيفية التي سردت من خلالها شخصيتها وسماتها الخاصة، ففضلا عن كون فاطمة غير محبة لمهنتها، كرها منها لطرق التلقين التقليدية في التعليم، " ضئيلة ونحيلة وتشبه السحلية، وكانت تستعمل أسلوب الصرامة، بل الفضاضة في شرح الرياضيات التي أكرهها، ولم تكن تكتفي بالشرح والتفتيش على الواجب بطريقة بوليسية، بل كانت ــ أيضًا ــ تشارك في التفتيش على هندامنا وتضبط مخالفاتنا، وفي يوم ضبطتني وقد وضعت طلاء أظافر .. فجحظت عيناها .. وقالت لي: .. بديش أشوف هاظ المناكير على أيديك في الفسحة"(١).

لننظر كيف تصف تلذذها بالمعاقبة وشراستها في الانتقام: " .. في الحصة الرابعة أقبلت المعلمة نحوي ... وهي تُخمِّن بأنها ستتلذذ بطريقة عقابي، لكنها فوجئت بإزالتي للطلاء مع طبقة من جلد أصابعي فارتدت بخيبة .. جداول الضرب، كم كانت كابوسًا مخيفًا على يَدَي أبلة فاطمة، والتسميع كل صباح .. والقمع المركب ــ الذي يختلط مع ثقافة تلقينية ــ يجعل الصف مجزرة لأي مغامرة تنتويها أجنحة الطفولة أو مراكب الخيال"(٢)، ويجعل الذات منزوية، معنفة، مضطهدة، وهو ما تصفه أميمة وصفا موجعا، فتقول: " نعقد أيدينا على صدورنا ونصمت، وعندما كنا أصغر وأقل قدرة على الشغب والمقاومة، كانوا يطلبون منا ــ أثناء التكتف رفع إصبعنا السبابة على شفاهنا وإبقاءه في وضع المغلق، لتستطيع المعلمة أن تصول وتجول في مقدمة

(١) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص٢٨ ــ ٢٩.

(٢) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص٢٨ ــ ٢٩.

الصف، ونحن نُزرع فوق المقاعد بعد أن تُقلَّم حيويتنا وشغب الطفولة والفضول والأسئلة والاكتشاف"(١).

إنه نسق سلطوي، تتغلغل فيه ضمنيا فكرة أن يكون المعلم على حق حتى وإن كان مقصرا في أداء واجباته، ومؤديا دورا تربويا مقلوبا، في ظل تواطىء الإدارة المدرسية وتراخي الأسر، فتكون الطالبة ضحية لهذا الآخر النسقي المتسلط، بينما الذات في سن مبكرة جدا من مسيرة حياتها.

يقابل هذه الممارسة النسقية الفردية ممارسة نسقية جماعية، تتمظهر في صورة تيار مجتمعي كامل، يتقصد القمع بإعلانه حربه المفتوحة على أي ذات أنثوية طامحة، على نحو ما فعله المتطرفون في ذوات تيار الحداثة والفكر، الذي تعتبره هدى الدغفق تيارها، فقد كَثّف: " بعض المتطرفين انتقاداتهم لأهل الفكر والحداثة، وكان لمدير مجلة اليمامة ــ آنذاك ــ الأستاذ إدريس الدريس .. الفضل في صدور ملحق أصوات الثقافي، الذي عُدَّ الأبرز ثقافيًّا، وبإشراف الشاعر محمد الحربي، وأصبح (أصوات) حافزًا لأجيال تلك المرحلة لتعرض إبداعها، وتنشره لها تلك المجلة وذاك الملحق"(٢). وهذه حالة مجتمعية مزدوجة في حضور الآخر، فبينما يسعى المتطرفون بتعطيل مشروعها الحداثي ينبري آخر من أبناء مجتمعها ليسر لها الطريق في هذا الاتجاه، وهو إدريس الدريس، الذي خصص بحكم إدارته لتحرير المجلة ملحقا صار منبرا لأصوات الحداثيين،: حتى إن هذا المحلق ــ كما تقول ــ صار له " دور كبير في تطور نصوصي وقدرتها على طرح نسقها الفكري والإبداعي، ولقد كان اختيار قصيدتي: كل عام والكآبة نحن، التي نشرتها أول مرة في ملحق

(١) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص٤٥.

(٢) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص١٣٨.

أصوات، وتصدرها الغلاف الأول للملحق عظيم الأثر في تحفيزي على مواصلة اكتشاف ذاتي الشعرية"[١].

هذا التيار قد يمثله اسما معروفا يتبنى موقفه، فيشكل آخرا ضديا للذات في تحقيق طموحاتها، على نحو ما تجلى في شخصية الداعية عوض القرني، وموقفه من النص الذي نشرته هدى الدغفق في صحيفة عكاظ: فكتب معلقا تحت عنوان: اشتعالات فرح مثقل: " انظر هذا التناقض، فرح له اشتعالات، وأيضًا مثقل!! .. أهذا كلام العقلاء .. أو كما يسمونهم: المبدعين والمتميزين"[٢].

إنه التشكيك في النوايا كأسلوب اتبعه هذا النسق، يردفه الاستخفاف بما كتبته هدى، وخطورة هذا النسق في قوته التي قد تعطل فعليا كل من يخالفه، وهذا ما حدث بالفعل، حيث أوقف ملحق أصوات ومُنع من النشر، وهدى تصف هذه اللحظة بالصدمة:

" صُدمت كما صُدم غيري من المبدعين السعوديين بخبر إيقاف ملحق أصوات، ومنعه من الصدور. أظن أن السبب يتعلق بطابع الجرأة الذي ميَّز الملحق بالإضافة إلى حداثته، وتجاربه الجديدة في مرحلة تطرَّف فيها من تطرف، وناهض كل فكر نيِّر"[٣].

التيار المتشدد له ذكرياته الراسخة في الذاكرة المجتمعية السعودية في مسألة قيادة المرأة، حيث أصبحت في وقتنا الراهن نسيا منسيا، وباتت مما يتم التندر عليه، بعد أن فتح المجال للنساء ويبدأن يقدن سيارتهن وسط قبول

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص١٣٨.
(٢) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص١٠٠.
(٣) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص١٣٨ ــ ١٣٩.

مجتمعي واضح، لكن هدى الدغفق تعبر عن ما شهده جيلها في شأن قيادة المرأة للسيارة وموقف الآخر المتشدد منه، وتحتفي بأولئك النفر من الرجال الذين ساندوا قيادة المرأة حينها، تحت عنوان يوميات سائقة سعودية من السيرة أعلاه: "ولم تزل قيادة المرأة السعودية للسيارة من الطموحات التي لم تحققها آنذاك وسأظل وكثيرات نهنئ ذواتنا بذكرى مظاهرتها الأولى .. ولنا أن نحتفي بأولئك الرجال المواطنين الذين ساندوا نساءهم في إقدامهن وقيادتهن السيارات، قبل ستة عشر عامًا تقريبًا"(١).

من خصائص هذا التيار قدرته الفائقة على الظهور في كل مكان، بمعنى أن له من يمثله هنا وهناك، فأميمة الخميس عاشت حربا طاحنة معه حين أصبحت مديرة لإحدى المدراس، فكشر هذا التيار عن أنيابه لها، ولكن بشكل مغاير، هو الانتهازية المفرطة، والبحث عن المصلحة الشخصية في مقابل مصلحة الوطن، فسعت جاهدة إلى محاربته بإيقاف الهدر التنموي الخطير، ووصفت تلك المرحلة في سيرتها وصفا صريحا تحت عنوان :٣٠ شرفة على نهر البيروقراطية، فتقول: "وبدأت المعلمات تتقاطر على مكتبي .. فصمَّمتُ استبياناً شخصيًّا كي أكون عادلة في اختيارهن .. لكن لم يُعيَّن في إدارتي أي من اللواتي طلبتهن، لأكتشف أن من عُيِّن .. أخوات وزوجات وبنات العاملين في القسم الرجالي، وكن بدون أي خبرة .. في السنوات الأولى ظل الحماس والرغبة في التغيير يرافقني كونها فرصة نادرة اقتربت فيها من مواطن صناعة القرار لاستزراع مشروع إيجابي .. ولكن ــ مع الوقت ــ أحسست أنني دخلت مع البيروقراطية عملية مصارعة .. صرعتني وغصَّصتني أكوابها.. وبالتدريج، دخلت في حالة من ذلك الخدر الطفيف من اللامبالاة

(١) الدغفق، هدى بنت عبدا لله: أشق البرقع .. أرى. مرجع سابق، ص٧٦.

المخلوطة بالسخط .. وعلى مدى عشر سنوات، مرَّ بي صنوف شتى من امتهان الجهد الإنساني، وسحق الإرادة، وتفتيت الطموحات، وقتل المبادرات الشخصية .. فوق شرفة على نهر البيروقراطية"(١).

هي تعود بنا هنا إلى الآخر الرجل، المتسلط بذكورته، الذي يتبنى موقفا سلبيا من وجود الأنثى في أي مجال، حتى في المجال المهني الذي هو حق من حقوقها الطبيعية، وقد عبرت الخميس عن هذا الآخر من خلال سلوكيات رؤسائها الذكور، فتتناول كأبسط مثال عمل المرأة في المؤسسات التي تدعوها للتعامل مع زملائها ومرؤوسيها، حتى من خلف حجاب: " فكثيرًا ما يصدمنا غياب المهنية العملية التي تضبط العلاقة بين زملاء العمل، .. يتراوح الأمر بين مشهدين: الأول: رئيس يتعامل مع مرؤوساته كأنهن نساء البيت! .. و .. بنفس النبرة التي تفتقد اللياقة المهنية، على اعتبار أن النساء .. ينتمين إلى نوع قاصر لا بد من .. الزعيق لضبطهن. والثاني: .. تصنيفه الدوني للمرأة، عندما يؤطرها في جانبها الغرائزي، فيكون على المرأة ــ عندها ــ أن تستمع إلى الرسائل المواربة التي تمرر عبر المكالمات .. والاستظراف من كهول .. يتناسون قداسة وقيم العمل، عندها لا تملك المرأة إلا أن تصمت وتستغبي .. احترامًا .. أو .. تردع مرسلها، وتنتقم لكرامتها وإنسانيتها بكلمات جارحة رادعة، لتدخل ــ عندها ــ في حرب سرية تُوَتِّر جو العمل وتخنقه"(٢).

حتى حينما انتقلت إلى الوزارة، واجهتها الظروف ذاتها، مما يؤكد على قوة النسق الذكوري وهيمنته، فأخذها إلى حالة الفشل كانت فعلا مقصودا من قبل الإداريين الذكور، تقول: " في السنة الأولى التي قدمت فيها للجهاز المركزي في الوزارة، حاولت أن أتحرك ضمن المتاح لي، وضمن قائمة

(١) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ١٦٩.
(٢) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص١٧٤.

المهام التي كنت أعتقد أنني لا بد أن أحققها، ومن ثم أرعبتني كمية المعوقات التي صادفتني، وكأن هناك تبييتًا مسبقا لشلِّ جميع المشاريع التي من الممكن أن تجد طريقها للميدان، نظرية المؤامرة هذه كانت تبرِّر عجزي والساعات الطوال التي أمضيها في المكتب دون فاعلية حقيقية"(١).

الموضوع الأثير الذي لا يمكن تجاوزه في هذا السياق، مرحلة عمل أميمة الخميس في الرئاسة العامة لتعليم البنات، وهي مرحلة فاضحة سواء لنسق الآخر الذكوري وممارساته، أو لنسق الآخر المتشدد وممارساته، أو لنسق الآخر الانتهازي وممارساته، فأميمة لا تعتبر أثر رئاسة البنات على حياتها منذ التحاقها بها كموظفة مسؤولة، بل منذ أن التحقت بمدارسها كتلميذة في سن مبكرة، وهذه نظرة معمقة لأثر إدارة تعليم البنات على ذاتها الأنثوية، فعبرت بأن " كل خلية في دمي قد تصبَّغت بأجوائها وبَصْمَتِها، منذ كنت في السادسة، كل عام من عمري تذيَّل بتوقيع وختم الرئاسة، فعضو العصابة ستبقى سيرته ملطَّخة بها مهما حاول الانفصال والفرار عنها .. هي لعبة عسكر وحرامية كبرى .. تنتهي كل يوم بأن أفرَّ مع الحرامية من العسكر، ولكن لأنتظم في اليوم التالي في صفوف العسكر وتبدأ المناورة .. ليس هناك أنثى في السعودية لم تترك عليها الرئاسة ختمها، حتى أولئك اللواتي عملن أو تعلمن في المدارس الخاصة، فإن أنفها الطويل كان يندسُّ عبر مديرة لا بدَّ أن تُعيَّن من قبل الرئاسة ومفتشاتها ومندوباتها، اللواتي كن يجلن المدارس في المدن والمحافظات، يوزعن حقائب العفة، ويراجعن جداول الفضيلة، وتعاليم ترتفع كأحجار حصن متين يحجب وعثاء العالم وشروره عن مدارس النساء"(٢).

(١) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص٢٠١.
(٢) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق،. ص١٢ ــ ١٤.

تستمر المأساة معها حين دخلت الرئاسة مسؤولة، " فالفضاء داخل هـذا الكيان الرئاسي يحمل طابع الصرامة تحت إمرة الطاغية المتمركز، ولا غرابة في أن فضاءً كهذا سيجعل المنسوبين/ات أشبه بسـكرتاريا تنفيذيـة مهمتهـا تقتصر ــ فقط ــ على تطبيق أوامر هذا الطاغية،"(١).

وتحت عنوان مقطع سردي آخر عنوانه ٣١ــ النعامة، ترى الخمـيس أن " مدراء القسم الرجالي يتعاملون مع النساء تحت مبدأ الوصاية، ويتفاخرون فيما بينهم بترويض وضبط المديرات المتنمرات المارقات، حتـى ولـو أراد مسؤول في نفس القطاع أن يحادث مديرة بشأن قضية إداريـة أو مشـروع تربوي فهو لا يستطيع أن يخترق الولي الإداري، ولا بدَّ أن يمر أولًـا مـن خلال مديرها الرجالي، وأي مديرة تتجاوز مرجعها الرجالي، تتعرض للتحقيق من قبل إدارة المتابعة. في هذه المساحة الملتبسة والسـلطة المزدوجـة بـين المدير الرجالي والمديرة النسائية كانت الموظفات يأخذن في المشاغبة ضـد مديرتهن .. فالمرأة تعودت على أن لا تحترم نوعها مقارنة بقيادة الرجل"(٢).

تؤطر الكاتبة السعودية في سيرتها موقفها من الآخر غير المسلم مبينـة تسامحها الكبير معه، وخير مثال على هذا تسوقه أميمة الخميس، حيث يـرد في سيرتها **ماضي مفرد مذكر** موقفها من طالبة مسيحية سـودانية الجنسـية، وكأنها من خلال هذا الموقف تكشف عن نسق التسامح الديني الذي يغيب عن الكثيرين، فالطالبة نعمت انطوت على نفسها، جراء ما تعانيه من ازدراء باقي الطالبات، فكانت أميمة معلمة الصف سببا في معالجة الوضع، وبدأت بنفسها حين تعمدت التجول في الفسح مع نعمت وتبادل الحديث معها، ويبقى الأهـم

(١) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص١٥.

(٢) الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ــ مفرد ــ مذكر. مرجع سابق، ص١٧٥ ــ ١٧٦.

من ذلك حرص أميمة على تبيان العامل الذي يسهم في جعلنا متسامحين مع الآخر غير المسلم، وهو أن نتربى على تقبل الآخر بشتى أوضاعه، وهو ما تربت عليه في أسرتها على حد قولها،: " لا أدري لما تعاطفت مع نعمت، هل لأنه وقتها في الثمانينات لم يكن الفكر المتزمت قد اكتسح المدارس بكل أدبياته ضدَّ من يسميهم بالمشركين والنصارى .. وهل طبيعة البيئة المنزلية داخل مناخ يؤمن بالتنوير والتسامح وقبول الآخر المختلف وعدم نبذ أي أحد أو إقصائه، هل لأنني أقع على برزخ بين ثقافتين فجعلني هذا الأمر أقل حساسية ضد الغرباء، هل هي بسبب أحاديث أمي لي عن صديقة مسيحية لها في لبنان كان اسمها ليليان؟ أيضًا، قد يكون وجود الخادمات الفلبينيات المسيحيات في المنزل لطَّف الموضوع"[1].

(١)ـ الخميس، أميمة بنت عبد الله: ماضي ـ مفرد ـ مذكر. مرجع سابق، ص٨٧.

## ▪ خاتمة:

تنتهي هذه الدراسة الدائرة حول الآخر في السيرة الذاتية النسائية السعودية إلى جملة من النتائج، في ظل ملاحظات عامة وسمت هذه السير ذاتية التوجه، إلا أن الملاحظة الأكثر بروزا قلة تسريد الكاتبات السعوديات سيرهن، تبعا للعديد البسيط الذي وقفنا عليه في المنجز السيّري الذاتي للكاتبة السعودية، ويمكن عد هذه الملاحظة نتيجة أساسية من نتائج الدراسة، تتبعها توصية للباحثين بمحاولة الوقوف على أسباب هذا العزوف من قبل الكاتبات السعوديات، مع تسجيل تقدير الدراسة لمن نشرن سيرهن الذاتية مبرهنين بذلك على أن الكتابة تعتبر حالة خاصة للكتابة الأنثوية الواثقة من محطات سيرة حياتها، فضلا عن الجرأة في البوح الأنثوي الذي لا يتوانى عن مسؤولية الدفاع عن قضايا المرأة السعودية، رغم خصوصية السياق المجتمعي الذي تعيش الكاتبة في نطاقه.

يقودنا هذا إلى نتيجة أخرى غاية في الأهمية هي قوة الخطاب الاجتماعي والثقافي الذي تضمنته السير الذاتية النسائية المدروسة، نظير اتسام هذا الخطاب بالوضوح والصراحة والثقة في المواجهة، دليل ذلك تضمين السير أسماء أعلام صريحة لها حضورها وشهرتها في المجتمع السعودي، فضلا عن ذكر الوزارات والإدارات والصحف بأسمائها الصريحة دون مواربة، وهذه مسألة تسم الخطاب بالمصداقية والموثوقية، رغم تحميله وزر ومسؤولية كبيرة.

ثمة نتيجة تتعلق بالموقف الذي تتخذه المرأة عامة في خطابها النسوي تجاه نسق الذكورة، الذي يجرها أحيانا إلى التجني عليه، ومع هذا فالكاتبات السعوديات في سيرهن كنا على درجة عالية من انصاف الرجل، فأوردن

المواقف الإيجابية التي اتخذها من المرأة، كما جئن على ذكر السلبي منها، ولكن بكل حيادية، وهذه مسألة تحسب للكاتبة السعودية للبرهنة على عدالة مواقفها الحياتية، وعدم جور قلمها أو تجنيه بسبب أو من غير سبب.

النتيجة التالية تتعلق بمسألة المنهج الذي تترسمه الدراسة، كونها تبحث في أثر الأنساق المضمرة في تشكيل الموقف من الآخر، وهنا نلاحظ أن الكاتبات السعوديات سجلن في خطابهن السيري الذاتي وعيا عميقا بقوة هذه الأنساق المتغلغة في شرايين المجتمع السعودي، في مقابل ما يحمله المجتمع تجاه هذه الأنساق من قبول قد يصل حدّ القداسة، لذا فخطابها السيري جاء تفنيدا ونقدا لهذا الرضوخ المجتمعي، جراء تضررها بوصفها أنثى منه ومن آثاره الكبيرة على مسيرتها في كل مجالات الحياة.

## المصادر والمراجع:

### ▪ المصادر

١ــ أميمة بنت عبد الله الخميس: **ماضي ــ مفرد ــ مذكر**. مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ــ لبنان. ط١، ٢٠١١م.

٢ــ ليلى بنت سعيد الجهني: **٤٠ في معنى أن أكبر**. دار أثر للنشر والتوزيع، الظهران ــ السعودية. ط١، ١٤٣٦ه.

٣ــ هدى بنت عبدالله الدغفق: **أشق البرقع .. أرى**. جداول للنشر والتوزيع، لبنان. ط١، ٢٠١١م.

٤ــ هدى بنت عبدالله الدغفق، **متطايره حواسي ــ شذرات سيرية**، أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م ــ

### ▪ المراجع:

١ــ أمل التميمي، **السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر**، المركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.

٢ــ إبراهيم خليل الشبلي: **الذات والآخر في الرواية السورية**. دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان ــ الأردن. ط١، ٢٠١٩م.

٣ــ إبراهيم، زكريا: **مشكلة الحياة، مشكلات فلسفية ٧**. دار مصر للطباعة، سعيد جودة السمار وشركاه. د.ط. د.ت.

٤ــ **أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، باب الهمزة، مادة أخر. طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين. دار الحديث ــ القاهرة. ٢٠٠٣م.**

٥ــ الطاهر لبيب: **صورة الآخر، العربي ناظرًا ومنظورًا إليه**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان. ط١، ١٩٩٩م.

٦ــ تزيفيتان تودوروف: **فتح أمريكا مسألة الآخر**. ترجمة: السباعي، بشير، تقديم: غزول، فريال جبوري. سينا للنشر. ط١، ١٩٩٢م.

٧ــ جزاع بن فرحان الشمري، **أجناسية السيرة الذاتية السعودية**، النادي الأدبي بالرياض ــ الرياض، ط١، ٢٠١٨م.

٨ــ جميل حمداوي: **النقد الثقافي بين المطرقة والسندان**. دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني. ط١، ٢٠١٥م.

٩ــ سعد البازعي وميجان الرويلي: **دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيَّارًا ومصطلحًا نقديًّا معاصرًا**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب. ط٣، ٢٠٠٢م.

١٠ــ شكري المبخوت: **سيرة الغائب، سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين**. دار الجنوب للنشر، تونس. دط، ٢٠٠١م.

١١ــ صالح معيض الغامدي وأبو المعاطي الرمادي، **الأدب السعودي، كرسي الأدب السعودي** ــ الرياض، ط١، ٢٠٢١م.

١٢ــ صالح معيض الغامدي وعبدالله الحيدري، **السيرة الذاتية في الأدب السعودي ــ دراسات نقدية**، كرسي الأدب السعودي ــ الرياض، ط١، ٢٠١٣م.

١٣ــ عبد الله الغذامي: **القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ المغرب. ط١، ٢٠٠٩م.

١٤ــ عبد الله الغذامي: **اليد واللسان، القراءة والأمية ورأسمالية الثقافة**. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ــ الرباط. ط٣، ٢٠١٧م.

١٥ــ عبدالله الحيدري، **السيرة الذاتية في الأدب السعودي**، دار طويق ــ الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

١٦ــ عبدالله الغذامي: **النقد الثقافي ــ قراءة في الأنساق الثقافية العربية**. المركز الثقافي العربي. ط٦، ٢٠١٤م.

١٧ــ فيليب لوجون: **السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي**. ترجمة وتقديم: حلي، عمر. المركز الثقافي العربي. ط١، ١٩٩٤م.

١٨ــ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: **القَامُوسُ المحيطُ، مرتبٌ ترتيبًا ألفبائيًا وفْقَ أوائلِ الحروفِ، باب الألف، مادة أخر**. دار الحديث طبع نشر توزيع، القاهرة ــ مصر. د.ط، ٢٠٠٨م.

١٩ــ محسن جاسم الموسوي، **النظرية والنقد الثقافي ــ الكتابة العربية في عالم متغير واقعها سياقاتها وبناها الشعورية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠ــ محمد الداهي: **صورة الأنا والآخر في السرد**. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر. ط١، ٢٠١٣م.

٢١ــ محمد صابر عبيد: **المتخيل الاستشراقي، الأنا والآخر، في سرديات سلطان بن محمد القاسمي**. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ــ لبنان. ط١، ٢٠١٥م.

**الرسائل جامعية**:

١ــ أحمد بن علي بن محمد هروبي: **الذات في السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية، من عام (١٣٧٤ــ ١٤٣٩هـ)، دراسة في ضوء النقد الثقافي**. أطروحة دكتوراه، جامعة الملك خالد، أبها ــ السعودية. ١٤٤٢هـ

٢ــ محمد لافي الشمري: **جهود عبد الله الغذامي في النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق**. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ــ كلية الآداب. ٢٠٠٨م.

**الدوريات** :

١ــ بدر المقبل، **السيرة الذاتية النسائية في المملكة العربية السعودية: إرادة البوح وإشكالية التجنيس**، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم ــ القصيم، مج ٧، ع٤، يوليو ٢٠١٤م.

# فهرس الموضوعات


| م | الموضـوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ٦٦٧ |
| ٢- | Abstract | ٦٦٩ |
| ٣- | المقدمة: | ٦٧١ |
| ٤- | ـ قراءة في ضوء النقد الثقافي. | ٦٧٥ |
| ٥- | ـ تعريف السيرة الذاتية | ٦٨٠ |
| ٦- | الآخر في السير الذاتية النسائية السعودية من منظور ثقافي: | ٦٨٦ |
| ٧- | ـ خاتمة: | ٧٠٥ |
| ٨- | المصادر والمراجع: | ٧٠٧ |
| ٩- | فهرس الموضوعات | ٧١٠ |